

الفصل الثامن

الذراعان

يقسم مفصل المرفق الذراع إلى العضد والساعد. يرمز العضدان إلى القوة والقدرة، ويمثلان جيشينا^(١) الشخصيين إن صح التعبير. عندما يريد صغار الأطفال استعراض قوتهم يشيرون إلى العضلة ذات الرأسين، أي عضلة العضد العاطفة. أما الساعدان فيجعلاننا أهلاً للفعل والتصرف، فهما يحملان جميع العضلات اللازمة لحركات اليدين، وعن طريق المرفقين، بوصفهما مفصلين بكريين، تدخل في اللعبة إمكانات الرافعة التي نستطيع بها إحضار الأشياء التي نصبو إليها ونشتيتها. ترمز الذراع الطويلة إلى النفوذ الكبير^(٢). كما إن التواجد عند الذراع الطويلة للرافعة يعني امتلاك المزيد من القوة أيضاً. فضلاً عن ذلك تعكس الذراعان قدرتنا على الصبر والتحمل. هكذا يبين الطرفان العلويان قوتنا وحركيتنا ومرونتنا في التعامل مع العالم، كيف نأخذ حياتنا بيدنا وكيف نقابل الآخرين.

يلامس الذراعان مجال العلاقات بين الناس بصفة خاصة، فهما المجسّان اللذان نمّدهما باتجاه العالم وقاطنيه. يربط هيرمان فايدلنر بين الذراع والفقر^(٣)، فهو يرى انطلاقاً من الرزانة ورباطة الجأش بوصفها موقفاً ذهنياً خلقياً، أن الفقر ينشأ عندما نخرج عن الرزانة ورباطة الجأش. هكذا تتحول شجاعة الزراعين إلى رمز للفقر الذهني. تقول اللغة الشعبية بشكل مباشر: الذراع الكسول لا يدقّ مخدعاً.

تناسب أبعاد الزراعين السليمين مع الجسم، وتكونان في هذا الإطار قويتين ومرنيتين في آن، موثوقيتين ورشيقتين، قادرتين ورقيقتين. بإمكانهما أن تصفعا بعنف، وأن تعانقا برفقة، أن تتمسكا بالشيء وأن تتجنباه، بإمكانهما أن تكونا سخيّتين وأن تعملأ بقسوة ودأب؛ بإمكانهما معاضدة الآخرين حينما يحتاجون إلى مساعدة، أو حمايتهم. عندما لا يؤخذ المرء على محمل الجد، يمكن أن يُحمَل على النراع ويُعامل معاملة الطفل.

إذا لم تتفق الذراعان مع هذه المثال الأعلى، باحتا بمقولة ما عن صاحبهما. هكذا تبين الذراعان الثقيلتان مفتولتا العضلات، إلى جانب قوتها وقدرتها، شيئاً من التثاقل ونقص المرونة، وقد تفتقدان إلى الإحساس بدقائق الأمور، وإلى رقة

١- التقارب اللغوي واضح بين Arm=ذراع و Armee=جيش. ويقال أيضاً الذراع العسكرية لمنظمة ما. - المترجم.

٢- يُقال: "يده طائلة". - المترجم.

٣- Arm تعني ذراع، ولكنها تعني فقير أيضاً. و Armut تعني الفقر. - المترجم.

الشعور وظرف المعاملة أحياناً. كما توحيان بالخشونة والفظاظة، وتتأرجحان أثناء المشي على نحو فيه شيء من التبدُّل وقلة الحيلة، ويوقظ أصحابهما الانطباع كما لو أن هاتين الأداتين الضخمتين بليدتان وموحشتان لهما أنفسهن. ربما يقيمون وزناً لوزنهما، لا سيما إذا ما كانوا قد بذلوا جهداً كبيراً في سبيل نفخهما بهذا الشكل المؤثر.

القطب المضاد هو الذراعان الضعيفتان اللتان تبدوان وكأنهما متأخرتان في تطورهما، وهما تعبّران عن نقص القدرات اللازمة لمعانقة الحياة وامتلاكها. نتيجة الشعور بالعجز يكاد يتعذّر عليهما التمسّك بما تحتاجانه وتحمل ما هو ذو وزن ومهم وتجنّب ما لا تتحمّلانه. يرى فيلهلم رايش أن هؤلاء الأشخاص يتّصفون بـ "نقص المبادأة والتصميم"، وكثيراً ما يُضاف إلى ذلك يدان باردتان تُبرزان قلّة الحرارة والودّ التي تسم اتصال هؤلاء الأشخاص بالعالم^(١).

الذراعان الرفيعتان القويتان اللتان تذكران بأطراف العنكبوت، تكشفان عن طبيعة تعمل بقسوة، بل بإصرار أحياناً، ولكنها غالباً ما تتحمّل المتاعب وتصبر على المشكلات أيضاً، وهما تنطويان على ميل إلى الجمود والتصلّب، وقد تكشفان عن نقص في المرونة والمهارة. تذكرنا الذراعان الرفيعتان والقويتان بالكمّاشة في ميلهما إلى التدخّل، وإلى الجور والانتهاك غالباً، وتكاد الحركات المرنة الناعمة والدقيقة تكون غريبة عنهما.

الذراعان السمينتان الضعيفتان توحيان بقلّة حيلة تصل حتى الفظاظة والغباء. طبيعتهما المتثاقلة تبوح بقلّة البهجة بالحياة وثقل الحركة وقلّة المرونة، ويبدو أن وزنهما أثقل مما ينبغي، وعبء الحياة أثقل مما ينبغي أيضاً. تتحرّكان بمشقة، وتخلوان من المرونة إلى جانب خلّوهما من الدينمية والقوة.

١ - انظر فقرة "اضطرابات التروية الدموية في إطار الضغط الدموي المنخفض" في ر. دالكة: مشكلات القلب. ميونيخ 1990.

1- مشكلات الذراع

كسور الذراع

ترمز الذراع المكسورة إلى علاقة مكسورة مع العالم. لم يعد المرء يقبض على حياته بيده، لم يعد بإمكانه التشمير عن ساعد الجد ولا أن يقوم بأي شيء، لم يعد في مقدوره إحضار العالم إليه ولا المشاركة في الأعمال العادية؛ فهو غير أهل للفعل والتصرف. في حال إصابة الذراع اليمنى، لا يعود بإمكان المرء وضع توقيعه إطلاقاً، بل يضطر إلى الاستسلام لمصيره الأمر الذي لا يعني إلا سحب توقيعه من أسفل صفحة الحياة. في بعض الثقافات القديمة كانت الذراع اليمنى للص أو السارق تُقطع أو تُكسر. مما يعني إرغامه نهائياً أو بصورة مؤقتة على الإقلاع عن "مهنته". يصف النصابون والمحتالون الاختراق أو الاقتحام بـ "الكسر"، كما إن الاختراق أو الاقتحام في الاقتصاد شيء وخيم العواقب، سواء أُسرق المرء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر عن طريق اختراق أسعار الأسهم وكسرها. هناك دوماً قطع مباغت لاستمرارية موثوقة حتى الآن.

تكمّن المهمة التعليمية في الكسور في الكسر الواعي المقصود لنموذج الحياة المتّبع، وبالحكم الذي تصدره الصورة المرضية بعدم أهلية الفعل والتصرف، تمدّنا بالإطار الخارجي. يتمتع الجانب المصاب بأهمية كبيرة: هل هو الجانب الأيمن الذي نكسب به رزقنا، أو هو الجانب الأيسر الأقرب إلى الطلب والالتماس، ومع الانغماس في الراحة الموصى بها ينبغي أن تنشأ إشارات إلى كيفية إدخال التنوّع في الحياة مستقبلاً على شكل تناوب بين التوتر والاسترخاء. يصور سير حديثة الكسر المهمة في شكلها الجسدي غير المخلّص. إذ إن حركة غير معتادة أو مبالغ فيها تؤدي إلى ازدياد التوتر بشكل مفاجئ، إلى أن يحلّ الاسترخاء ثانية جراء استسلام العظم ورضوخه. لا شك في أن مثل هذه الوقائع المؤثرة ممكنة من الناحية المجازية وأكثر جدوى.

بغض النظر عن خرق قوانين الرافعة، تحدث معظم كسور الذراع جراء السقوط، وتشكّل حالات السقوط بدورها معظم الحوادث بصور عامة، ويعيدنا السقوط إلى إشكالية الإنسان الأول: السقوط من الوحدة الفردوسية إلى عالم القطبية. صحيح أن ثقافات أخرى تستخدم صوراً أخرى، ولكن أياً منها لا يستغني عن هذا النموذج الأولي لعصيان الإنسان وتمردّه على خالقه والسقوط التالي لذلك. كان الغرور، أي تمرد الإنسان على الرب، يُعدّ الخطيئة الوحيدة في العصور القديمة، وكان على الإنسان أن يتحمّلها، إن هو أراد السير

في طريق التطور، ويبين مثال بروميثيوس^(١) بكل وضوح مرحلة العصيان والتمرد، وذلك عندما عصى أمر الآلهة وأحضر النار إلى البشر، وكان سقوطه التالي عميقاً، والقصاص الذي كان عليه أن يكابده إلى حين خلاصه، كان شديداً.

أسئلة

- ١- أي من جانبي، الأنثوي أم الذكري، هو في مأزق إلى درجة كان معها الانقطاع والتوقف ضرورياً؟
- ٢- إلى أي حد كنت قد جعلت حياة جزئي هذا ليس في قبضتي وحسب، بل في قبضتي الحديدية؟
- ٣- هل كان الاختراق ضرورياً لكسر الرتابة؟ بم يفيدني التنوع المترافق مع الكسر؟
- ٤- فيم هي قناعاتي راسخة أكثر مما ينبغي، وأين تجمدت أحكامي متحوّلة إلى تحيزات؟ أين جرت على الأمور وغاليت فيها؟
- ٥- أين تتطلب طريقي المزيد من الحرية (الحركية)؟
- ٦- كيف هي شجاعتي بالمعنى المجازي في الوصول إلى الحدود وتجاوزها؟
- ٧- كيف يمكنني إدخال التنوع والتشويق والتوتر في حياتي، كيف يمكنني إدخال الاسترخاء فيها؟

لا شك في أن الرمزية مشابهة عندما نكسر عظامنا، علماً بأن المستوى الجسدي غير صالح نوعاً ما لمحاولات العصيان والتمرد. نحن نغالي في أمر ما، ونخالف قوانين طبيعتنا، فيتلو هذا العقاب، ومع ذلك لا تنص الرسالة على الكف عن الإقدام على أي شيء وعن تحدّي الحدود، بل على العكس تنص الرسالة على الإقدام على الحياة والنظر إليها على أنها تحدّ. كلما دخل المزيد من التنوع إلى الحياة، ابتعد الموضوع عن العظام.

جاء التنام الكسر وتشكّل ما يُسمى الدشبذ، غالباً ما يصبح موقع الكسر أشد صلابة من السابق. في حال عدم شفاء الكسر بشكل جيد، تدلّ بعض الأمور

١- سارق النار من السماء ومعلم البشر استعمالها. - المترجم.

على أن الخطوات الداخلية لم تكن كافية، وأن التعارض أو عدم الانسجام الذي لا يزال قائماً، ينعكس في الجسد.

يجب علينا أن نجازف بالسقوط في طريقنا المرة تلو الأخرى، ويفترض أن يمثل السقوط دافعاً لنا للتوقف والبحث عن طرق أخرى جديدة قبل كل شيء تُخرجنا من الروتين والتكاسل الذي نحن فيه. لا بد من كسر الاستمرارية ووضع المبادئ الثابتة، بل الجامدة والمتصلبة، موضع التساؤل، لاسيما حينما يعزّ علينا ذلك.

التهاب غمد الوتر

ينجم التهاب غمد الوتر عن فرط الأجهاد أيضاً، إنما لا يعود ذلك إلى تأثيرات الرافعة القوية والمبالغ فيها، أو إلى الضربات العنيفة، بقدر ما يعود إلى الحركات الصغيرة المتشعبة المستديمة، مثلما نجدها في أعمال الحَبْك، كالتطريز وشغل الصوف مثلاً، وفي الضرب على الآلة الكاتبة. هنا أيضاً ليس النشاط بحد ذاته هو ما يؤدي إلى المشكلات، بل تنفيذه المتشعب. قد تكون أعمال الحَبْك مُرخيةً بالطبع. بيد أن من يدّعي ذلك، ويُصاب بالتهاب غمد الوتر، يكشف أن تشنجه لاواعٍ. ثمة شيء ما غير مُرخٍ على الإطلاق قد تسَلَّل مندساً بين الغرز، من دون أن يشعر به أحد. ربما ينبغي أن يُحَبِّكَ ويُشَبِّكَ أحدهم، أو أن يدخل بين أحابيل الغرز، كما تقع الذبابة في شبكة العنكبوت، ويمكن لمثل هذا الدافع القدري أن يجرّد أشد الأنشطة المسترخية من رخاوتها. عندئذ يشتعل الصراع اللاواعي في غمد الأوتار، إذ إنها/الحبال التي يتعلق بها كل شيء، على الأقل قوة العضلات، وبدلاً من أن تنقل العضلات القوة بلا تأخير، تشرع في خلق المتاعب والصعوبات، وتغتصب في ظلّ صرخات الألم استراحةً لنفسها وفرصة تفكيرٍ لصاحبها. إن جوهر كل علاج هو الراحة، سواء أكانت عن حكمة وتعلّل في الوقت المناسب، أم لاحقاً في الحيبس.

والحق أن المهمة التعليمية الكامنة تهدف إلى الراحة بكل وضوح، وانطلاقاً من الراحة لا بد من تطوير الوعي بالوضع المؤلم. ينبغي على المرضى أن يستوعبوا نشاطهم ويزاولوه بوعي، بحيث يتعرّفوا إلى المعنى الأعمق وإلى مقاصدهم المرتبطة به. تعني حالة التشنج وجود مقاومة، ولا بد من معرفة ضد ماذا تتوجّه هذه المقاومة، ويغدو الاحتكاك الشديد الذي تسببه المقاومة، محسوساً، لا بل مسموعاً في التهاب غمد

الوتر المكتمل. يكاد الوتر يخشخش ضمن غمده في ظلّ التوتر والألم، وتُخلى المرونة المكان لجهدٍ شاق تحت شعار "الآن حان الجد". هكذا نرى أن شيئاً من العناد والإصرار يشارك دائماً في التهاب غمد الوتر. لا بد للمرء من أن يعضّ على أسنانه بقوة ويتحامل على نفسه بغية تجاهل إشارات الإنذار المحسوسة بوضوح، والجهد وصولاً إلى الصورة المرضية الكاملة.

قد تختلف الخلفيات، ولكنها دوماً كنزة لا يزال ينبغي إنهاؤها بسرعة بالطبع. إنه ظرف وصفي تماماً، ذلك أنه يعبر عن الصراع القائم بين الرغبة الواعية في الفاعلية وإنهاء العمل من جهة، والمقاومة اللاواعية للعمل المريب من جهة أخرى. لا شك في أن أغماد الأوتار قد تقع ضحية صراعات ساخنة في أعمال يديوية أخرى كالضرب على الآلة الكاتبة مثلاً، والقاسم المشترك بين هذه الأنشطة هو رتابة الحركات غير المُجهدة وغير البانية للقوة بحد ذاتها، والمقاومة غير المقرّبة التي تتجسّد في غمد الوتر وتتوارى فيه في أن معاً.

إنها ليست تلك المقاومة الشديدة والخطيرة التي تنزع إلى الهجوم والضرب، والتي كان لها أن تتجلّى أكثر في عضلات العضد، بل هي مقاومة مستديمة تنقن التخفي (في أغماد الأوتار)، وتتوارى بالمعنى المجازي ببراعة خلف العقلنة والترشيد، الأمر الذي يتضح في عبارات مثل "ولكنني مسرورة في عملي هذا، وبطيب لي أن أقوم به من أجله (أو من أجل الأولاد)، وذلك عن محبة فعلاً". من الممكن، ولكن من الصعب أن يقوم المرء عن محبة أو ودّ بأعمال رتيبة لا تجلب المتعة ولا السرور بحد ذاتها، ولا تخلف الرضا في أعماق قلبه. لا شك في أن القيام بشيء مملّ حتى السقم بدأب وانهماك هو أمر يكاد يكون مستحيلاً بوجود التفكير العملي الهادف، ولا يفلح فيه المرء إلا عن انهماك وتسليم طقسي للحظة.

تزداد المشكلة وضوحاً حينما تنقّد في إطار أنشطة غير مُربحة في القيمة العامة، فحيث تكون عبارة "مشغول يدوياً" مرادفة لنقص الأناقة، لا غرابة إذا لم يجلب ذلك إرضاءً عميقاً. من يضرب على الآلة الكاتبة أفكار إنسان آخر، فهو بحاجة إلى تمامٍ عميق مع شخص هذا الآخر، كي يشعر أنه على ما يرام مع هذا العمل "المنقّر". كثيراً ما تنشأ في مثل هذه الأعمال مقاومات تُضعف الحافز، ولعل الوقاية الحقيقية من التهاب غمد الوتر تكمن في عدم مواصلة المرء عمله كما في السابق، وفي أن يكون على بينة من علاقته بهذا النشاط، وأن يُدخل استراحة إذا لزم الأمر (قبل استراحة الجيبس)، أو أن يبدّل العمل أو موقفه منه.

أسئلة

- 1- ما هو رأيي بعلمي، وما هو موقعي العميق منه؟
- 2- ما هي الأهداف (المتشجعة؟) التي أرمي إليها سرّاً عن طريقه؟

ما هو الحافز الذي يشارك في الحُبك والضرب على الآلة الكاتبة
أو في التأثير في العمق؟

٣- ما مدى العناد والإصرار الذي أتعب به مقاصدي الخفية؟

٤- ما هي مآخذي الخفية على عملي؟ من أين تنبثق مقاومتي، وعلام
تنصبّ بالضبط؟

٥- ما مدى علاقة مقاومتي بتقويمي العام لعملي؟ هل فقدت الثقة
بنفسي وبأنشطتي الدقيقة والمتطلّبة؟

٦- كيف هي علاقتي بالرتابة؟ ألا أرى فيها سوى التبلّد والملل، أم
أرى الجانب الطقسي أيضاً؟

2- مفصل المرفق

بمساعدة المرفق نستطيع إحضار العالم إلينا وفرض إرادتنا فيه. إنه الرافعة التقليدية التي نشغل بها جميع الروافع، ونرمي بالآخرين عنا، أو نجتذبهم إلينا برقة. يُعدّ المرفقان أحد أكثر مواضع ظهور الصّداق* مصادفةً، لا بل من غير النادر أن ينطلق الصّداق منهما. تمثل السطوح المتقرّنة نوعاً من الغطاء الواقعي للمرفقين حافل بالصراع. تتضح ضرورة هذه السطوح المتقرّنة من الملابس التي تكون مقوّة في هذه المواضع، أو بالأحرى بالية ومهترئة من شدة الاحتكاك. يتداول السويسريون تعبير "ellbögen"، وهو فعل يعني المزاحمة والاندساس بطريقة لطيفة بمساعدة المرفقين.

تقوم الصورة المرضية الشائعة المسماة ذراع أو مرفق التنّيس على حالة من فرط الإجهاد ناجم عن استعمال الرافعة بشكل غير صحيح، وهو مثال كلاسيكي على الوجود المتوازي لدافع الضرب ورداع الضرب بشكل متزامن. يزيد المضرب بوصفه امتداداً للذراع، من عزم الرافعة بشكل هائل، فإذا لعب الرياضي وهو في وضعية متشنجة تحت ضغط الأداء والإنجاز، أو يدفعه طموح خجل ومكبح، كلّف مفصل الرافعة أكثر مما في وسعه. الأمر الذي يعلن عنه هذا الأخير بالآلام. لعل هذا يمهد الطريق من حيث المبدأ لكل الإجراءات الضرورية. إذ إن مفصل المرفق المؤلم يعترض على مواصلة اللعب ويتكفل بإدراج استراحة التفكير الضرورية التي تنتج للأعب أن يتحقّق من دوافعه إلى مثل هذه الحركات المفرطة، ولا يغدو الأمر إشكالياً إلا حينما يتجاهل المعنيون إشارة الجسد الواضحة، ويواصلون استخدام الرافعة كما في السابق، ويكتسحون الآخرين بلا

رحمة. لعل المهمة تتمثل في مراجعة فكرة اللعب، واللعب بصورة أشد رفقاً. إن ما أسهبن فيه في مرفق التنيس لا يصح على التنيس وحسب، بل على جميع المواقف والظروف المشابهة. إذ يمكن أن يُصاب بمرفق التنيس بالطبع من لم يسبق له أن أمسك بمضرب تنيس.

أسئلة

- 1- ما الذي أريده فعلاً حينما أشغل جميع الرافعات؟ من الذي أريد أن أرميه عني؟
 - 2- ما هي الإشارات التي تدعوني إلى الراحة، ولكنني تجاهلتها؟
 - 3- ما هي المقاومة التي تلوح عندما أُلوح برافعتي؟
 - 4- ما هي الحوافز غير المقرّ بها (ما هو الطموح غير المقرّ به؟)، التي تشارك في الرفع عندي؟ ما هي الضربات التي ترتدّ عليّ وتهزني (وتهزّ مفصلي)؟ من كان المقصود بها في الواقع؟
-